أسماء ومدلولات

المغرب

السنة الأولى - العدد 26 - الأربعاء 7 ربيع الأول عام 1356 الموافق 16 يونيه سنة 1937

لماذا ظل المغرب وحده ما يزيد عن ربع قرن لم يرسل بعثة واحدة إلى ديار الغرب لا بواسطة الحكومة التي ذلك من واجبها الأكيد ولا بواسطة الشعب نفسه إذ أن المحاولات التي بذلها بعض الأفراد لا تعد بعثة بالمعنى الصحيح؟

هذا سؤال طالما تساءله المغاربة وطالما استعرضوا له الأسباب، فهم في كل يوم وفي كل جريدة يرون أن بعثات الشرق العربي متوالية الالتحاق بمعاهد أوربا وأن تلك الأمم تتبادل البعثات بينها في كل سنة وفي كل مناسبة، ولكن بلادهم لم ترسل بعثة منظمة وحكومتهم الغنية لم تفكر في هذا بل انها في بعض الأحيان قد حاربته.

ولست أزيح الستار عن سر من الأسرار إذا قلت إن أهم سبب هو أسماء ومدلولات وهو عرقلة عجيبة استنبطها المسؤولون عن إدارة التعليم بهذه البلاد، فانظر ولك أن تستغرب ولك أن تبتسم أو بالأحرى لك أن تبكى على مستقبل المغرب.

لم يكن غنى لرجال التعليم أن يوجدوا تعليما بالمغرب ولكن اهتدوا إلى طريقة لا ينتج معها هذا التعليم بالمرة، فقد أنشأوا المدارس الابتدائية ومدرستين ثانويتين الأولى بالرباط والأخرى بفاس، ويكاد برنامج المدرستين الثانويتين لا يختلف في شيء عن أهمية نظام المدارس الفرنسية الثانوية، ولكن الشهادة التي يحصل عليها المغربي في تلك المدارس لا تسمى شهادة ثانوية « باكالوريا » لتعترف بها جميع الكليات، بل تسمى « دبلوم » نهائيا

للدروس الثانوية الافرنسية الإسلامية، وفي اختلاف اللفظين (باكالوريا ودبلوم) فرق كبير سواء من الناحية التعليمية أو من الناحية القانونية؛ فمدير أية جامعة في الخارج عندما يرى الطالب المغربي محصلا على (دبلوم) لا يرى هاته الشهادة تدل على دراسة ثانوية منظمة، بل يتصورها دراسات افرنسية إسلامية، فلا يسمح للطالب بالانخراط في سلك جامعته، فيصبح (الدبلوم) الذي حصل عليه الطالب المغربي بعد دراسة نحو عشر سنوات ورقة بيضاء لا قيمة لها مطلقا خارج المغرب بل ولا في داخله، فالناحية القانونية بالمغرب أيضا لا تعترف بهذه الشهادة ولا تخول لحاملها أن ينخرط في سلك دروس ليسانس في المعهد المغربي بالرباط ولا أن يتقلد وظيفة ذات مسؤولية بالمعنى الصحيح؛ فالمحصل على (دبلوم) - وهى شهادة المغربي الثانوية - لا يعتبر مطلقا أمام المحصل على (الباكالوريا) وليس من فرق كبير بين الشهادتين ولكن اسميهما يختلف وتلك هى العرقلة التي وضعتها إدارة المعارف أمام الطالب المغربي.

وأنكى من ذلك أن إدارة المعارف في الساعة التي لا تعترف بدبلومها كانت تمنع الطالب المغربي من الانخراط في المدارس الفرنسية ليحصل على شهادة (الباكالوريا) ليستطيع بها أن ينخرط في سلك جامعة للتخصيص في علم من العلوم ولم تسمح بذلك إلا منذ زمان بعد أن ألح عليها الطلبة وكشفت عرقلتها للعيان، وبالرغم أن نظام الباكالوريا دخل للمدارس المغربية فإن مدير إحدى المدرستين الموجودتين كان دائما يحبب للطلبة شهادة الدبلوم وينفرهم من نظام الباكالوريا، ولم يكن هناك معنى لأن يبقى نظام الدبلوم ما دام القانون ولا الجامعات تعترف به.

وهكذا مر ربع قرن والمغربي يحصل على شهادة هى ورقة بيضاء لا أكثر ولا أقل، وبذلك كان من المستحيل تماما أن ترسل أية بعثة ولا أن يذهب الطالب المغربي إلى خارج المغرب ليختص في علم من العلوم ولا أن ينخرط في سلك المعهد المغربي ليصبح محاميا أو أستاذا رسميا، وإنما تخول له (دبلومه) أن ينخرط في قسم الترجمة بالمعهد ليدرس سنتين

يصبح بعدها مترجما في إدارة إذا وجد وظيفة شاغرة. ولست أدري أبهذه العراقيل ينشط الطالب المغربي في تعليمه ويجتهد في إحراز شهادة تلك قيمتها وهذه نتيجتها؛ أبهذه العراقيل ينتج لنا التعليم العصري ما نعلق عليه من آمال وما ننشده في طالبيه من رجولة ونضوج. ولكن تلك إرادة رجال التعليم بالمغرب وتلك عرقلتهم. ولم يكن نتيجة سياستهم التعليمية إلا أن تخرج للمغرب خلال ربع قرن طبيبا واحدا ومحاميين.

ذلك هى العرقلة وذلك هو داء تأخر المغرب العلمي في المرحلة الأولى من مراحل حياته الجديدة، فما هو العلاج وما هى الوسيلة التي تؤدي بالمغرب إلى استغلال أبنائه المحصلين على شهادة (الدبلوم) التي هى الآن ورقة بيضاء؟ هذا ما أرجو أن يكون حديثي المرة المقبلة.